تجليات أسطورة خلق الإنسان بين أساطير بلاد النهرين وسفر التكوين

Manifestations of the myth of human creation between the myths of Mesopotamia and Genesis

م . د. حسين عامر حسين
Dr. Hussein Amer Hussein
mailto:hh0025723@gmail.com

الملخص

تناول البحث قضية الخلق في أقدم الأساطير والحضارات في العالم وأسبر أغوار تلك العقول متعقباً قصة الخلق في الأساطير السومرية، ثم البابلية لتصل إلى مقارنتها بسفر التكوين، متبعين التقسيم الزمني لبيان التأثر والتأثير في كلاً منهم.

فتطلب ذلك تقسيم البحث على مقدمة، ثم تمهيد تضمن معنى الأسطورة وأقسامها، واربعة مباحث تضمن الأول منها: قصة الخلق في الأسطورة السومرية، وكانت قصة الخلق في الأسطورة البابلية في المبحث الثاني، أما المبحث الثالث فكان في موضوع الخلق في التوراة، لنصل في المبحث الرابع إلى تفسير مقارن بين كلاً من أسطورة الخلق السومرية، والبابلية ثم التوراة أعقبه خاتمة بأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: اسطورة، خلق الانسان، سفر التكوين.

Abstract

The research dealt with the issue of creation in the oldest myths and civilizations in the world and probed the depths of those minds, tracing the story of creation in the Sumerian, then Babylonian myths to compare it with the Book of Genesis, following the chronological division to show the influence and influence on each of them.

This required dividing the research into an introduction, then a preface that included the meaning of the myth and its divisions, and four sections that included the first of them: the story of creation in the Sumerian myth, and the story of creation in the Babylonian legend was in the second topic, while the third topic was on the subject of creation in the Torah, to arrive in the fourth topic To a comparative interpretation between the Sumerian, Babylonian and Torah creation myth, followed by a conclusion with the most important results.

Keywords: myth, creation of man, Genesis.

المقدمة

كانت الأسطورة المنقذ لتفكير الإنسان البدائي، وهو يفكر في خلق الكون والإنسان، وكل ما يحيط به، وأيقن أن كل هذا من خلق إله مبدع، ولكي يسهل عليه فهم تلك الأمور ربطها بما يدور حوله من الآلهه تلك الآلهه التي يتصور أنها من كبار الملوك في ذلك الوقت، فحاول الناس رفعهم إلى مكانة عليا لتمجيدهم، فأسبغوا عليهم صفات الأله.

وقد سلط البحث على قضية الخلق في أقدم الأساطير والحضارات في العالم وأسبر أغوار تلك العقول متعقباً قصة الخلق في الأساطير السومرية، ثم البابلية لتصل إلى مقارنتها بسفر رالتكوين ،متبعين التقسيم الزمني لبيان التأثر والتأثير في كلاً منهم.

فتطلب ذلك تقسيم البحث على مقدمة، ثم تمهيد تضمن معنى الأسطورة وأقسامها، واربعة مباحث تضمن الأول منها: قصة الخلق في الأسطورة السومرية، وكانت قصة الخلق في الأسطورة البابلية في المبحث الثاني، أما المبحث الثالث فكان في موضوع الخلق في التوراة، لنصل في المبحث الرابع إلى تفسير مقارن بين كلاً من أسطورة الخلق السومرية، والبابلية ثم التوراة أعقبه خاتمة بأهم النتائج ثم قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

منذ أن وعى الإنسان، وهو يفكر بالكون وظواهره، وظلت تساؤلاته في البحث عن تفسير ما يحيط به من وجود، تثير فيه مغامرة إيجاد الجواب لذلك.

ولم يكن تفكيره الذي قاده إلى ولوج هذا العالم، أي عالم البحث بقادر على أن يجعل النفس تقنع بما كسبته من معرفة بسيطة عن طريق التربية الوراثية والبيئية، لذا قرر أن يوقف سيل تساؤلاته التي جعلته يقف متعجباً من ظواهر الكون المتعددة بأن يعطي تفسيراً يرتضيه لسرها، والذي يشكل هو نفسه بسذاجته جزءاً منها، وسرعان ما وجد الوعاء، إنها الأسطورة التي فسر بها الحياة، وأشبع فيها رغباته الباحثة عن الحقيقة مستنداً إلى عالم الخيال والخرافة، يكشف عن نوازعه الداخلية من خلال سلوكه المتعامل مع الدين فطرياً، والخوف من المصير المجهول، والقلق اليومي المعاش.

وقد اختلف الباحثون في تعريف الأسطورة، فذهب بعضهم إلى أنها « نتاج صبياني لخيال مهموش ووهم نزق». بينما يرى آخر أن « أساطير العالم القديم إنما تمثل واحدة من أعمق منجزات الروح الإنسانية، وهو الخلق الملهم لعقول شاعرية خيالية موهوبة، سليمة، لم يفسدها تيار الفحص العلمي ولا العقلية التحليلية». في حين يجد آخر أنها « لم تزد على أن تكون روايات خرافية تطورت من أجل تفسير طبيعة الكون ومصير الإنسان، وأصول العادات والعقائد والأعمال الجارية في أيامهم، وكذلك أسماء الأماكن المقدسة والأفراد البارزين». وهناك رأى آخر يقول أن « الأساطير القديمة ذخائر من دوافع ذات طابع أولي بدائي، تكشف وتنير العقل الباطن الجماعي للإنسان»[1].

(١) ينظر في ذلك: أساطير العالم القديم، نشر وتقديم: صموئيل نوح كريمر، ترجمة: أحمد عبدالحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص١١.

وقد ركز آخر على الجانب اللغوي في الأسطورة فقال: « إن الأسطورة كانت نوعاً من اللغة الشعرية، اللغة الوحيدة التي كان الإنسان قادراً عليها في مرحلة تطوره البدائي، وهو مع ذلك ولكل ذلك، لغة صميمية لها مبدأها البنيوي ومنطقها الخاص»[١].

ويؤكد(ماكس مولر) جانب آخر في الأساطير، وهو سذاجة وجنون الإنسان البدائي، حيث يذهب إلى إنها تصوير لفترة من الجنون كان على العقل البشري أن يجتازها»[٢].

بينما يؤكد آخرون على الجانب الفكري فيها، فيعدوها: « مرحلة بدائية من مراحل التفكير الميتافيزيقي، وأول تجسيد للأفكار العامة»[٣].

وفسرت المدرسة الأنثروبولوجية الإنكليزية[٤] ذلك بمصطلحات الطقوس والسحر، بينما يذهب بعض المختصين من المحدثين في الأساطير إلى أن الطقوس أسبق من الأسطورة في الظهور[٥]، ربما لأنها كانت تعنى بالشعائر البدائية الدينية.

وقد أكد نقادنا العرب ما ذهب إليه علماء الأنثروبولوجيا والدراسات القديمة في أن الأسطورة هي « الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية، في حين يذهب آخرون مذهباً عقلياً في تفسيرهم للأساطير، إذ يرون « أن الآلهة كانت في أصلها طائفة من

(١) الأسطورة والنموذج البدائي، وليم ويميزات، ترجمة: محي الدين صبحي، مجلة الأقلام، بغداد، العدد الثامن، آيار ١٩٧٦: ٢٦.

(٢) ينظر: الأساطير، أحمد كمال زكي، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٠٧.

(٣) الأسطورة والنموذج البدائي: ٢١.

(٤) (علم الانثروبولوجية، هو العلم الذي يدرس البشر في جميع انحاء العالم وتاريخهم التطوري، وسلوكهم وكيفية تكيفهم مم البيئات المختلفة وتواصلهم واختلاطهم معا.

(٥) موسوعة الأدب والفنون الشعبية، عبدالحميد يونس وفوزي العنتيل، مجلة الهلال المصرية، يوليو ١٩٦٨: ٩١.

الملوك بلغوا من القوة والتأثير شأناً عظيماً جعل الناس يجتازون بهم عالم الواقع إلى عالم الخوارق ثم يؤلهونهم، ولهذا الاتجاه أهمية، حيث جعل للأساطير واقعاً تاريخياً»(١).

وقد أصبحت الأساطير تمثل الذاكرة الإنسانية عندما تستدعي مرحلة من الزمان اكتنفها الغموض في كل جانب، وأعان ذلك الخيال تصوير الملوك تصويراً خارقاً في عصور سحيقة غلبت عليها البداوة ، وينسب ذلك إلى « هوميروس[٢] » الذي مات في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد.

وقد قسم بعض النقاد الأسطورة على تقسيمات عدة منها:-

١ . الأسطورة الطقوسية: وهي التي تمثل الجانب الكلامي لطقوس الأفعال التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاؤه.

٢ . أسطورة التكوين :وهي التي تصور لنا عملية خلق الكون.

٣. الأسطورة الرمزية: وهي التي تتضمن رموزاً تتطلب التفسير، ومن المؤكد أن هذه الأساطير قد ألفت في مرحلة فكرية أكثر نضجاً ورقياً من التي ألفت فيها النماذج السابقة.

٤ . الأسطورة التعليلة: وهي التي يحاول الإنسان البدائي عن طريقها أن يعلل ظاهرة تستدعي نظره، ولكنه لا يجد لها تفسيراً مباشراً، ومن ثم فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر وجود هذه الظاهرة.

٥ . أسطورة البطل الإله:وهي التي يتميز فيها البطل بأنه مزيج من الإنسان والإله «البطل المؤله» الذي يحاول فيما لديه من صفات إلهية أن يصل إلى مصاف الآلهة، ولكن

(١) البطل في الأدب والأساطير، شكري عباد، دار المعرفة، القاهرة، فبراير ١٩٥٩، ص٨٥.

(٢) شاعر ملحمي اغريقي ،يعتقد انه مؤلف الملحمتين الالياذة واوديسة.

صفاته الإنسانية تشده دائماً إلى العالم الأرضي[١].

يتضح من ذلك أن الأسطورة ستبقى مادة خصبة للخلاف باعتبارها من الإنسان البدائي، الذي هو مزيج من الدين والسحر، والتاريخ، والتأمل، والعلم، صبغ بأسلوب خيالي تتبدى فيه الأحداث كأنها أحلام طفولية في عصور خرافية[٢].

ويمكن استخلاص ذلك في أن الذهن لا يعمل مستقلاً بذاته؛ لأنه يعجز عن إيفاء تجربة الإنسان البدائي حقها، فمنطق الأسطورة هو «اللامنطق، واللامعقول، واللازمان، وفي هذا كله تبدو الأسطورة وسطاً بين الحلم واليقظة، أو لعلها تبدو وكأنها ضرب ممتع من أحلام اليقظة»[٣]؛ لأنها أقدم مصدر مارس فيه الإنسان تأملاً لسرد وجوده بين الظواهر الكونية الرهيبة، فالأسطورة هي الوعاء الأشمل الذي فسر فيه البدائي وجوده، وعلل فيه نظرته إلى الكون، محدداً علاقته بالطبيعة من خلال علاقته بالآلهة التي اعتبرها القوة المسيرة والمنظمة لجميع الظواهر الطبيعية.

(١) ينظر: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت، ص١٥-٢٢.

(٢) ما قبل الفلسفة، جماعة من النقاد، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، ص٤٠.

(٣) الأساطير، د. أحمد كمال زكي، ص١١٥.

المبحث الأول
أسطورة الخلق السومري

قبل البدء بالحديث عن تلك الأسطورة لابد من الإشارة إلى أن فكرة الخلق من العدم، لم تكن مدار بحث أي أسطورة قديمة؛ لأن فكرة الخلق التي تضمنتها تلك الأساطير ما هي إلا عملية استخلاص النظام من حالة فوضى أصيلة، وأن أسطورة خلق العالم قد وجدت في الأساطير القديمة بصفة رئيسية واحدة هي أسطورة (ابنما- ايليش)[1]، أو ملحمة الخليقة.

ويرى الأستاذ (كريمر[2]) أن نظرية أصل الكون السومرية قد اكتملت عن أصول أسطورية مختلفة، وقد قسمت الأسطورة السومرية أو نضجت على:-

1- أصل الكون.
2- تنظيم الكون.
3- خلق الكون.

١- أصل الكون:-

ورد اسم الإله (نمو) في إحدى الألواح التي تضمنت قائمة بأسماء الآلهة السومرية عبر عن اسمها برمز (بحر)، وقد وصفت بأنها الأم التي ولدت السماء والأرض، (Nammu) أو (Namma) التي يكتب اسمها بالعلامة الصورية التي تعبر عن البحر

(١) ابنما- ايليش: أي (حينما في العلى) هو النص البابلي لعنوان أسطورة الخليقة البابلية، وقد اقتبس هذا العنوان من أول عبارة وردت في هذه الأسطورة.

(٢) صموئيل نوح كريمر خير معروف عالميا في التاريخ السومري واللغة السومرية،لديه مؤلفات عده ومنها الاساطير في بلاد مابين النهرين والاساطير السومرية

الأول، لكن لماذا تخيل السومريون أن أصل الوجود هو الماء؟ فيعتقد البعض لاسيما أتباع مدرسة التحليل النفسي أن نظرية الميلاد المائي لدى الشعوب القديمة تعد انعكاساً لذكرى كامنة في لا شعور الإنسان حول حالة الجنين في ماء الرحم للأم سابحاً في بحره الأول[1].

وفي أساطير أخرى يتضح لنا بأن السماء والأرض كانتا في الأصل جبلاً قاعدته الأرض، وقمته السماء، وقد شخصت السماء وسميت باسم الإله (آن)، وشخصت الأرض وسميت باسم الاله (كي)، ومن اتحادهما ولد إله الهواء (إنليل)[2] الذي فصل فيما بعد بين السماء والأرض، وخلق الكون يشكل أرض وسماء يفصل بينهما الهواء، ولم تأتِ الأساطير السومرية بإيضاح فيما يخص أصل خلق البحر.

٢- تنظيم الكون:-

إن تصوير الخليقة بهذا الشكل قد ذكر في عدد من الأساطير التي تصف الأجسام السماوية وجميع العناصر المختلفة في الحضارة السومرية وكيفية استحالتها إلى كائنات في هذا الوجود وأولها تدور حول مولد إله القمر (ننا) و(سن)، بيد أن هذه الأسطورة تفتقر إلى التفاصيل.

وتشير الخطوط العريضة لهذه الأسطورة أن (انليل) أعظم الآلهة في مجموعة الآلهة السومرية، والذي كان معبده في (نفر) كان قد افتتن بالآلهة (ننليل) فاختطفها حينما كانت تبحر في جدول (نونبيردو)، وبسبب هذا العمل الذي ينطوي على الجور والقسوة

(١) ينظر: قصة الخلق أو منابع سفر التكوين، سيد محمود القمي، القاهرة، المركز المصري لبحوث الحضارة، ١٩٩٩، ص٤٢.

(٢) ينظر: الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم- دراسة في الأساطير-، د. أسامة عدنان يحيى، آشوربانيبال، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٦.

أقصى (انليل) إلى العالم الأسفل، بيد أن (ننليل) التي كانت حبلى حينذاك رفضت البقاء بعيدة عنه، وأصرت على أن تتبع (انليل) إلى العالم الأسفل، وحيث أن ذلك قد أدى إلى أن تلد طفلاً هو (نانا) إله القمر الذي ولد في ظلام العالم الأسفل بدلاً مما هو مقدراً له أن يكون ضوء السماء.

لذا فإن (انليل) دبر مشروعاً معقداً أدى إلى أن تصبح (ننليل) أماً لآلهة العالم الأسفل الثلاثة كبديل عن طفلها (نانا) الذي تمكن من الصعود إلى السماء.

لقد كان (نانا) أو (سين) يعتبر رب النجوم في مجموعة الأرباب السومرية، وكان إله الشمس (اوتو) يعتبر منحدراً من سلالة (نانا) وقرينته (نينكال).

وفي نظرية أصل الكون العبرية المتأخرة استمر الوضع على ما كان عليه، وأصبحت الشمس هي مصدر الضوء الرئيسي في حين أصبح القمر مؤنثاً كما هو الحال في الأساطير الكلاسيكية.

ويصور السومريون (نانا) بأنها مسافرة في سماء الليل في (قفة) وهي الزورق المستدير الشكل المستعمل في الملاحة في نهر الفرات، تصاحبها النجوم والأجرام التي لا يعرف أصلها.

وبعد أن فصل (انليل) السماء عن الأرض، وبعد أن أضاءت (نانا)، و(اوتو) ظلام السماء والنجوم والأجرام، أنجز حينئذ خلق الجزء الأرضي من الكون.

ولغرض تجهيز الأرض بالمواشي والقمح خلق (انليل) إلهين صغيرين بناءً على اقتراح (انكي) (ايا البابلي) إله الحكمة، وهما (لهاز) إله الماشية، و(اشنان) إله القمح ليجهزا الطعام والملابس للآلهة ثم تصور الأسطورة كيف أن هذين الإلهين قد انصرفا إلى احتساء النبيذ والسكر والعربدة، وكيف أخذا يتشاجران، الأمر الذي أدى إلى إهمال واجباتهما وأصبحا غير قادرين على الحصول على ما تحتاجه الآلهة، ولمعالجة هذا الوضع

فقد خلق (الإنسان)[1].

وثمة أسطورة أخرى تصف نشاطات (انكي) في مد سومر بالعناصر الضرورية للحضارة، وتصف كيف بدأ (انكي) سائحاً من سومر إلى مختلف أرجاء الأرض (لتقدير المصائر)، فيبدأ بزيارة (لور) ثم (كلوخا) التي يحتمل أنها ترمو (لمصر)، ثم يزور دجلة والفرات ويملأهما بالأسماك ثم الخليج العربي، ويعين في كل هذه الأماكن التي زارها إلهاً يوكل إليه حمايتها ثم يمضي (انكي) ليوكل إلى إله الآجر (كيتا) شؤون الفأس وقالب الآجر، ويقوم بوضع الأسس وبناء الدور ثم يوكل إلى (مشدما) البناء الأعظم لـ (انليل) إدارة هذه الشؤون ويملأ هذه السهول بالخضراوات والحياة الحيوانية، ويوكل إلى (سمكان) ملك الجبال إدارة شؤونها، وأخيراً يقوم (انكي) ببناء الإصطبلات وحضائر الماشية، ويوكل إدارة شؤونها إلى إله المراعي (دموزي).

٣- خلقالإنسان:-

تتضمن الأسطورة السومرية القول بأن الآلهة يتبرمون من كونهم لا يستطيعون الحصول على غذائهم؛ لأن (انكي) إله الحكمة الذي تلجأ إليه الآلهة عند الحاجة مسترسل في نوم عميق إلا أن (نامو) إلهة البحر الأول، وأم الآلهة توقظه من نومه، وبإيعاز من (نامو) فإن (ننماخ) آلهة الولادة تساعدها بعض الآلهة الذين يصفهم (كريمر) بأنهم طيبون وعلى جانب كبير من التهذيب يجلبون الطين الموجود في أعلى اللجة، ويخلقون منه الإنسان،لشكوى أمه قائلة:

« أنت تبقى مضطجعاً، لتغرق دون انقطاع في نومك، لكن الآلهة، الذين ولدتهم أنا، يتهمون!

(١) ينظر: الأساطير في بلاد ما بين النهرين، صموئيل هنري، ترجمة: يوسف داود عبدالقادر، ١٩٦٨م، ص١٢-١٤.

غادر فراشك يا بني،
ومارس مواهبك بذكاء
لتصنع من يحل محل (؟) الآلهة
لكي يتوقفوا عن العمل[١].

ثم يقيم (انكي) مأدبة للآلهة احتفالاً بخلق الإنسان، فيحتسي كل من (انكي) و(ننماخ) مقادير كبيرة من الخمرة، فيثملان، وتتناول (ننماخ) بعض الطين الموجود في أعلى اللجة، وتخلق منه ستة مخلوقات شاذة بسبب تحديها (لانكي)، فقالت له: «طبيعة (؟) البشر قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وأظن أن بمقدوري أن أعين لهم حسب رغبتي مصيراً حسناً أو سيئاً؟

فأجاب (انكي ننماخ): « نعم أنا باستطاعتي تصحيح هذا المصير الذي تختارين سواء أكان حسناً أم سيئاً، فأخذت ننماخ الصلصال من ضفاف الايسو، وضعت أول إنسان، ولم يكن يستطيع إمساك أي شيء بيديه المتصلبتي المفاصل، فعين له (انكي) مصيراً أن يدخل في خدمة الملك، وكان الإنسان الثاني ضريراً، فعين له (انكي) فن الغناء مصيراً.

أما الإنسان الثالث الذي صنعته فقد كان مشلول الساقين، فعين له (انكي) شيئاً من البهاء الخارق للطبيعة، والرابع الذي صنعته لم يكن بمقدوره الاحتفاظ بمنيه (كما ينبغي) ثم شفاه (انكي) باغتسال مع تعويذ خاص[٢].

عدا المخلوقين الأخيرين منهم، وهما (الامرأة العاقر) و(الرجل الخصي)، ويقرر

(١) ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، الكتاب الأول، أعطني، أعطني ماء القلب أناشيد الحب السومري، نقله إلى العربية: قاسم الشواف، قدم له وأشرف عليه: أدونيس، دار الساقي، ص٦٥.

(٢) ينظر: ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، ص٦٧، ٦٨.

(انكي) مصير الرجل الخصي فيجعله خادماً للملك، أما المرأة العاقر فقرر لها مصيراً أن تبقى في (بيت الحريم).

وتمضي الأسطورة في وصف أعمال الخلق الأخرى التي قام بها (انكي) الذي خلق الإنسان ضعيفاً في عقله وبدنه، ثم يطلب من (ننماخ) أن تقوم بما يؤدي إلى تحسين وضع هذا المخلوق التعس، بيد أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً، وتلعن (انكي) لخلقه هذه المخلوقات.

المبحث الثاني
أسطورة الخلق البابلي

ظل الإنسان يبحث عن سر الوجود، وعن تفسير ظواهر الكون المحيطة به متخيلاً ومعللاً أصل الوجود والخلق، وقد ردوا ذلك إلى الآلهة العظام، بسبب تمجيدهم وتقديسهم وخدمتهم لهم، فعللت أغلب الأساطير سر خلق الإنسان لخدمة الآلهة، أي سبب الخلق هو خدمة الآلهة لتظل الآلهة في مصاف العظام. وتبدأ أسطورة الخلق البابلي التي وجدت على ألواح هي[1]:-

- اللوح الأوليذكر السماوات، إذ أنه لم يكن هناك سوى (آيسو) محيط الماء الحلو، و(تيامات) محيط الماء المالح، ومن اتحادهما ظهر للوجود الإلهان الأولان (لخمو) و(لخامو) وترجمها (جاكوبسن) بأنها الراسب الغريني الذي يتكون من اتصال البحر بالنهر.

وقد منح هذا الإلهان الحياة إلى (انشار) و(كيشار) وترجمها (جاكوبسن) أيضاً بأنها الأفق الدائري بين الأرض والسماء، ثم يعطي (انشار) و(كيشار) الحياة إلى (انو)[2] أي

(١) (ينظر الاساطير في بلاد مبين النهرين:٣٣-٣٦

(٢) هو إله السماء، ويمثل أول الآلهة وأكبر المعبودات في قائمة الآلهة في العراق.

السماء و(نوديمو) أو (أيا) أي الأرض والآلهة (الماء).

وقد استبدل (انليل) في الأساطير السومرية بـ (أيا) أو (انكي) في الأساطير البابلية الذ يظهر إلهاً للحكمة ومصدرا للسحر كله ثم ينجب (أيا) (مردوك) بطل الصيغة البابلية للأسطورة.

وقد ظهرت أولى بوادر المعارك والخصومات قبل ولادة (مردك) بين الآلهة الأصليين وبين أولئك الذين ولدوا حديثاً.

فقد انزعج (تيامت) و(ايسو) من أصوات الآلهة الصغار وتشاور مع (مومو) وزير (آيسو) من أجل القضاء على هذه الآلهة إلا أن (تيامت) ترفض القضاء على نسلها إلا أن ذلك الرفض لم يثنِ (ايسو) و(ميمو) عن مرادهم، فيصنعان خطة لتنفيذ ذلك إلا أن ذلك الأمر سرعان ما ينفضح لدى الآلهة الخائنين.

فيقوم (ايا) الحكيم بتدبير مشروع خطة معاكسة فيسلط النوم على (ايسو) ويذبحه ثم يشد وثاق (ميمو) ويربطه بحبل من أنفه ثم يقوم بتشييد (قاعة الحكم) المقدسة، ويطلق عليها اسم (ايسو)، ويعيش في راحة وسلم دائمين.

يولد (مردوك) في قاعة الحكم، وقد ورد ذكر جماله وقوته العظيمة وينتهي اللوح الأول بوصف التهيؤ للخصام مجدداً بين الآلهة الأصلية والآلهة الصغار.

ونلحظ كذلك النقد الذي تعرضت له (تيامت) من قبل أطفالها بسبب سلوكها إزاء مقتل (ايسو)، وقد تمكنوا من استفزازها وحملها على اتخاذ التدابير لإبادة (انو) فتنصب ولدها البكر (كنكو) قائداً للحملة على ذلك وتزوده بالسلاح، وتبدأ (تيامت) بولادة الحشود الكبيرة من المخلوقات الشاذة كالرجل العقرب والقنطور (الذي نصفه إنسان ونصفه الآخر حيوان).

- ويصف اللوح الثانيوصول أخبار الهجوم المرتقب إلى مجلس الآلهة، فيصاب

(انشار) بالهلع وترتعش أفخاذه من شدة الخوف فيعد العدة لذلك، فيذكر (ايا) انتصاراته السابقة على (ايسو) ويقترح أن يعامل (تيامت) بنفس الطريقة ثم يرسل (انو) لصيد (تيامت) عن تنفيذ أغراضها ولكنه يعود خائباً.

ثم يقف (انشار) في مجلس الآلهة، ويقترح قيام (مردوك) البطل القوي بهذه المهمة، فيوافق على شرط أن يمنح سلطة قوية تعادل السلطة التي يمتلكها مجلس الآلهة وأن تكون كلمته لها قوة تحديد المصائر وغير قابلة للتبديل.

- ويتضمن اللوح الثالث ملخص قرار مجلس الآلهة ثم ينتهي بالمهرجان الذي يقام بمناسبة منح (مردوك) السلطات التي طالب بها رسمياً.
- ويكمل اللوح الرابع أخبار تتويج (مردوك) كملك، وطلب الآلهة منه البرهان على القوة التي يملكها والتي تؤهله لإنجاز ما تعهد به فيبرهن على ذلك بأن يأمر كسوته الرسمية بالاختفاء ثن تعود بالظهور على جسمه ثانية فيطمئن الآلهة وينادون بأن (مردوك) قد أصبح ملكاً.

ثم يجهز نفسه للقضاء على (تيامت) بمعركة تنتهي لصالحه، فيجهز نفسه بالسلاح تأهباً للقتال، وأسلحته هي: القوس، والنشاب، والصولجان، والبرق، وشبكة منصوبة على زوايا الريح الأربعة، ٤ ثم يملأ نفسه باللهب، ويخلق سبعة زوابع هائجة، ويرتقي مركبه الزوابع، ويتقدم نحو (تيامت وحشودها)، ويتحداها بمنازلته إياها على انفراد، ويلقي بشبكته ليحصرها بها، وحينما تفتح تيامت فمها لابتلاعه يسوق الريح الشريرة عليها ويخزها بنباله ويمزق قلبها.

أما عفاريتها فيصابون بالذعر ويلوذون بالفرار، إلا أنهم يقعون في الشبكة، ويلقي القبض عليهم، ويشد وثاقهم، كما يلقي القبض على (كنكو) أيضاً، ويشد وثاقه، ويأخذ (مردوك) ألواح القدر الموجودة لدى (كنكو) ويربطها على صدره، وبذلك يحصل على

أكبر سلطة بيت الآلهة.

ويعذب (تيامات) شر تعذيب، فيقوم (مردوك) بتمزيق جسم (تيامت) إلى قسمين، يضع أحدهما فوق الأرض ليكون مثل السماء ويثبته على قضبان، ويأمر الحراس أن يحولوا دون ترشيح الماء منه[١]، ثم يبني (اشارا) مسكن للآلهة العظام على غرار مسكن (ايا) وينتهي اللوح الرابع.

- وفي اللوح الخامسيبدأ (مردوك) تنظيم الكون، وقد أولى عنايته بادئ الأمر للتقويم، وهو من المهمات الكبيرة التي اضطلع القيام بها ملك بابلي، ويعد (مردوك) كمؤسس للدورة السنوية ونظام الأشهر عن طريق تبدلات القمر، كما قام بتأسيس الطرق الفلكية الثلاثة، طريق (انليل) في السماوات الشمالية، وطريق (انو) في السمت، وطريق (ايا) في الجنوب ووضع كوكب المشتري حارساً على نظام الكون، وإذا انتهى مردوك من إقرار كل إله فوق كوكبه، وضع نفسه هو الآخر في كوكب كان أكبر من كل الكواكب الأخرى، وأضخم، وجعله المصدر الرئيسي للنور في صفحة السماء[٢].
- أما اللوح السادس فقد تضمن وصفاً لخلق الإنسان، حيث أفصح (مردوك) عن رغبته في خلق الإنسان ليكون في خدمة الآلهة، وبنصيحة من (ايا) يتم الاتفاق على وجوب موت (كنكو) قائد حملة التمرد، وبموته يخلق الجنس البشري على شاكلته.

ويتم ذبح (كنكو) ومن دمه يخلق الجنس البشري في خدمة الآلهة لتحريرها (أي لتقديم واجبات الخضوع التي تخص طقوس المعبد، ولتجهيز الطعام (للآلهة) ثم تقوم الآلهة ببناء معبد (مردوك) الكبير، وهو معبد (ايز اكيلا) الكبير في بابل وزقورته، وبأمر

(١) ينظر: الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ، ص٣٤-٣٥.

(٢) ينظر: أشهر الأساطير في التاريخ، مجدي كامل، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ص٣٦-٤٥.

من (انو) يعلن الآلهة الخمسين اسماً العظيمة في مردوك، وهي الأسماء التي تمثل بقية محتويات القصيدة.

المبحث الثالث

رواية الخلق في التوراة

في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خاوية خالية، وعلى وجه القمر ظلام، وروح الله يرف على وجه المياه.

وقال الله : ليكن نور، فكان نوراً ورأى الله أن النور حسن. وفصل الله بين النور والظلام، وسمى الله النور نهاراً والظلام ليلاً، وكان مساء وكان صباح: يوم أول.

وقال الله : « ليكن في وسط المياه جلد يفصل بين مياه ومياه» فكان كذلك، صنع الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد، والمياه التي فوق الجلد، وسمى الله الجلد سماءً، وكان مساء وكان صباح: يوم ثانٍ.

وقال الله : «لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى مكانٍ واحدٍ، وليظهر اليبس فكان كذلك، وسمى الله اليبس أرضاً ومجتمع المياه بحاراً، ورأى الله أن ذلك حسن، وقال الله : « لتنبت الأرض نباتاً : عشباً يبرز برزاً وشجراً مثمراً يحمل ثمراً، بزره منه من صنفه على الأرض، فكان كذلك، فأخرجت الأرض نباتاً: عشباً يبرز برزاً من صنفه وشجراً يحمل ثمراً، بزره منه من صنفه، ورأى الله أن ذلك حسن، وكان مساءً وكان صباح: يوم ثالث.

وقال الله : ليكن في جلد السماء نيرات تفصل بين النهار والليل، وتشير إلى الأعياد والأيام والسنين، ولتكن النيران في جلد السماء لتضيء على الأرض، ولتحكم النهار والليل، وتفصل بين النور والظلام، ورأى الله أن هذا حسن، وكان مساء وكان صباح:

يوم رابع.

وقال الله : «لتفض المياه خلائق حية ولتطر طيور فوق الأرض على وجه السماء» فخلق الله الحيتان الضخمة وكل ما دب من أصناف الخلائق الحية التي فاضت بها المياه، وكل طائر مجنح من كل صنف ورأى الله أن هذا حسن، وباركها الله قال: « انمي واكثري املأي المياه في البحار، ولتكن الطيور على الأرض». وكان مساءً وكان صباح: يوم خامس.

وقال الله : « لتخرج الأرض خلائق حية من كل صنف، بهائم ودواب ووحوش أرض من كل صنف، فكان كذلك: صنع الله وحوش الأرض من كل صنف، والبهائم من كل صنف، والدواب من كل صنف، ورأى الله أن هذا حسن.

وقال الله : « لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وكل ما يدب على الأرض « فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلق البشر، ذكراً وأنثى خلقهم وباركهما الله فقال لهم « انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الذي يدب على الأرض.

وقال الله : « ها أنا أعطيتكم كل عشب يبرز برزاً على وجه الأرض كلها. وكل شجر يحمل ثمراً فيه بزر. هذا يكون لكم طعاماً. أما جميع وحوش الأرض، وجميع طير السماء، وجميع ما يدب على الأرض من الخلائق الحية فأعطها كل عشب أخضر طعاماً» فكان كذلك. ونظر الله إلى كل ما صنعه فرأى أنه حسن جداً، وكان مساءً وكان صباح: يوم سادس.

فختم الله السماوات والأرض وجميع ما فيها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمله، وبارك الله اليوم السابع وقدسه،

لأنه استراح فيه من جميع ما عمل كخالق. « هكذا كان منشأ السماوات والأرض حين خلقت[١].

رواية خلق السماوات والأرض في التوراة[٢] :

بعد عرضنا للنص التوراتي، نرى أن النص يبدأ بالخلق، والخلق هنا هو (الإيجاد من العدم)، وليس ترتيب الموجودات بصورة جديدة، بل هو الابتداء من العدم بدليل كلمة في (البدء) أي الحركة الأولى للخليقة وبداية الزمن، أي الوقت الذي بدأ الله فيه خلق الأشياء، فبدأ بخلق السماوات والأرض،الله وحده من خلقهن وليس أحد سواه، فهو خالق كل شيء وما من قوة خلاقة سواه[٣]، فقد خلقهن بالكلمة، إذ يقول (ليكن نور) و(ليكن وسط المياه جلد).

ولم يتطرق سفر التكوين إلى عدد السماوات التي خلقت أولاً وسكانها، وفي حديثه عن الأرض يصفها بـ (خاوية)، أي خالية من أي آثار أو أي شيء مادي محسوس عارية عن الصور عديمة الشكل.

أي هي كما نفهم حال الصحراء القاحلة الخربة أو المكان الخالي، إلا أن روح الله كانت ترف على وجه المياه.

وعموم النص أن عملية الخلق استمرت ستة أيام متضمنة ثمانية أعمال يبدأ كل منها بـ « وقال الله « فخلق الله تعالى النور والجلد والبحار واليابسة والنباتات والشمس والقمر والنجوم في الأيام الأربعة الأولى.

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ١ : ١-١٣ ؛ ٢ : ١-٤.

(٢) تفسير سفر التكوين، أنطونيو فكري، مكتبة العذراء، القاهرة: ٢٢.

(٣) سفر التكوين أو تاريخ الكون والإنسان، الخوري بولس الفغالي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٨٨: ٢٩.

وبعد أن أعد الأرض خلق في اليومين الخامس والسادس خلق الكائنات الحية، فخلق الكون المادي أولاً، ثم فصل الأشياء عن بعضها ورتبها في الثلاثة الأخيرة، ثم أسكن كل مخلوق مكانه المعد له.

ويمكننا تقسيم أيام الخلق على:-

١ . اليوم الأول: خلق الله فيه النور، وفصل بين النور والظلام (ورأى الله النور أنه حسن).

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن: ألم يكن الله تعالى يعلم الحسن من قبل الخلق؟ ألم يكن يعلم سبحانه وتعالى كيف هو حال النور والظلام، وهل المقصود نور الشمس وظلام الليل؟ وأي نور وظلام يقصد الكتاب المقدس؟ ومن أي شيء خلق النور؟

فيجيبنا علماء الكتاب المقدس لعل ذلك كان عن طريق الكهارب أو سقوط النور من كتلة السديم من القول: (كان مساءً وكان صباحاً) وبتقديم المساء على الصباح قد يعني أن الظلمة وجدتقبل النور، أما إطلاق المساء على الليل كله فهو من باب إطلاق الجزء على الكل، فالمساء والصباح في التعبير اليهودي دلالة على اليوم الكامل[١]، أما اليوم فقد تكون فيه إشارة إلى الزمن.

٢ . اليوم الثاني: في هذا اليوم فصل الله تعالى بين مياه الأرض والسماء بالجلد، أي (رقيع) وهي شيئاً مبسوطاً ممتداً.

ويفسر علماء الكتاب المقدس « المياه تحت الجلد ثم فوق الجلد» بأن أصل المياه من الأرض وما فوقها أبخرة[٢].

---

(١) سفر اشعيا، ٤٠ : ٢٢.

(٢) ينظر: اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، عصام الدين حنفي ناصف، دار المروج للطباعة، بيروت- لبنان، ١٩٨٥: ٤٢.

٣. اليوم الثالث:وفي اليوم الثالث خلق اليابسة وسماها (أرضاً) ومجمع المياه سماه (بحاراً)، ثم أنبت الأرض عشباً وشجراً يحمل الثمار.

وهناك رأي يقول: « بأن الله لم يخلق النباتات كاملة في اليوم الثالث من أيام الخليقة وإنما منح الأرض في ذلك اليوم القدرة على الإنبات، فبدأت الأرض تنبت نباتها»[١].

٤. اليوم الرابع: خلق الله تعالى النيرات التي تفصل بين النهار والليل، كما صرحت بذلك التوراة وللدلالة أيضاً عن تقسيم الوقت ومعرفة الأيام والسنين.

٥. اليوم الخامس: خلق الله في ذلك اليوم مخلوقات المياه الضخمة كالحيتان، وخلق الطيور، وكل طائر مجنح.

٦. اليوم السادس: خلق الله تعالى الحيوانات التي تعيش على الأرض من (بهائم، ودواب، ووحوش)، ومن ثم خلق الإنسان « لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا».

ويبين شراح الكتاب المقدس معنى تلك الآية بأن (الصورة) هي القداسة والبر، والمعرفة والعلم والتمييز بالعقل، ذلك لأن الإنسان من أسمى المخلوقات، لذا كانت له حرية الإرادة للتمييز بين الخير والشر.

٧. اليوم السابع:نقرأ عن اليوم السابع (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمل)[٢].

وتلفتنا لفظة (استراح) محاولين تفسير معناها، فلو سلمنا بالمعنى العام لها، وهي الاستراحة التي تطلق على من أصابه التعب، فهل تعب الله سبحانه وتعالى من الخلق ليستريح؟ فأفعال الله بنص التوراة قائمة بكلمة (ليكن)، فضلاً عن تنزيهه عن ما ينتاب

---

(١) الكتاب المقدس والعلم الحديث، د. فوزي الياس، دار الثقافة، مصر، مطبعة دار نوبار، د. ت: ٤٤.

(٢) سفر التكوين، ٢ : ٢

المخلوقات من تعب، لتسعفنا كلمة من شراح الكتاب المقدس بعد أن انتابنا العجب بأن لفظة (استراح) تدل على أن الله أكمل الخلق وانتهى منه[1].

ثم أننا نلاحظ على كاتب قصة الخليقة بعض الهفوات، فالنور والظلمة كان لابد أن يندمج ضمن خلق الشمس والقمر للتعبير عن النور والظلام، إلا أننا نرى خلق النور والظلام في اليوم الأول، ثم الشمس والقمر في اليوم الرابع، وإن لم يكن النور مقصود به الشمس فمن هو النور.

كما أن القصة لم تتحدث عن زمن الخلق، ولا زمن حدوثه، كما أنه فصل في اليوم الثاني عن المياه دون الحديث عن خلقها.

المبحث الرابع
المقارنة بين قصص الخلق

بعد عرضنا لصور الخلق في الأسطورة السومرية، والبابلية ثم في التوراة، نرى أن قصة الخلق في الأساطير السومريةتدور حول الآلهة (نمو)، والتي وصفت بأنها الأم التي ولدت السماء والأرض، فقد اعتقد السومريون أن السماء والأرض من خلق البحر أي (نمو)، فقد عبروا عن (نمو) بالبحر، وزعموا أن البحر كان موجود منذ الأزل، وهذا البحر هو الذي ولد الجبل الذي يضم السماء والأرض.

ومن خلال اتحادهما ولدا الهواء (انليل) الذي تمدد وباعد بينهما وتزوج (انليل) فيما بعد (ننليل) فولد (إله القمر وجميع الكواكب) من أبوين هما إله الهواء وإلهة الهواء.

---

(١) ينظر: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، د. منيس عبدالنور: ٥، والمرشد إلى الكتاب المقدس، قدم له الأب جان كابور، نشره باللغة العربية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط٢، ٢٠٠٠م : ١٢٧.

وبينما كان (نانا) إله القمر مسافراً في قفة يجوب بها رحاب الفضاء تمكن من أن يبعث الضوء إلى أرجاء السماء، وانتشرت حوله النجوم الصغيرة كحبوب القمح[١].

أما الإنسان فقد ولد من الماء أيضاً، فالطين بحاجة إلى الماء ليشكل مادة الإنسان، فمادة لب الطين موجود في أعلى المياه التي تحمل معنى ألوهياً لا يسبر غورها إلا الصناع المهرة: فتقف (نمو) (البحر الأول) (أم انكي) إله الماء بوصفه إله الحكمة وتخاطبه قائلة:-

« انهض يا بني من فراشك ... واعمل ما هو حكيم
خلق خدماً للآلهة لعلهم ينتجون لهم الـ .... ».

فيقول انكي:-

« إن المخلوق الذي لفظت اسمه قد جاء إلى الوجود أوثقية بـ .... الآلهة
امزجي لب الطين الموجود في أعلى المياه
التي لا يسبر غورها إلا الصناع المهرة سيجعلون الطين مختمراً

كان هذا النص السومري أي أسطورة بلاد الرافدين وبعدها بألفي سنة الأسطورة التوراتية[٢]، فكان خلق الإنسان بالأسطورة السومرية يفرض لخدمة الآلهة، ذلك لأن الآلهة يتبرمون من كونهم لا يستطيعون الحصول على غذائهم؛ لأن (انكي) إله الحكمة الذي تلجأ له الآلهة عند الحاجة مسترسل في نوم عميق إلا أن (نمو) إلهة البحر توقظه من نومه وبمساعدة (ننماخ) إلهة الولادة بعد أن أوعزت لها (نمو) وبمساعدة بعض الآلهة أيضاً الذين كانوا يجلبون الطين الموجود في أعلى اللجة ليخلقوا منه الإنسان وبدء

(١) ينظر: الأساطير السومرية، كريم صموئيل، ترجمة يوسف داود عبدالقادر، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧١م : ٦٧.
(٢) أساطير العالم القديم، ص١١٤.

خلقه.

ثم يقيم (انكي) مأدبة للآلهة احتفالاً بخلق الإنسان فيحتسي هو و(ننماخ) كثيراً من الخمر فيثملان، وتتناول (ننماخ) بعض الطين الموجود وتخلق منه ستة مخلوقات شاذة عدا المخلوقين الأخيرين منهم، وهما (الامرأة العاقر) و(الرجل الخصي)، ويقرر انكي مصير الرجل الخصي فيجعله خادماً للملك.

وقد خلق (انكي) الإنسان ضعيفاً في عقله وبدنه وبعد أن رآه على هذه الصورة طلب من (ننماخ) أن تحسن وضع هذا المخلوق التعس لكنها لا تستطيع فتنعل (انكي) على خلقه.

ونلاحظ كلمة (انوش) في العبرية وهي (إنسان) تعطي معنى (ضعيف أو مريض)، وهذا ما كان نعت الإنسان في الشعر العبري.

أما الأسطورة البابلية فترى بطلة الخلق هي (تعامة) أو (تياقة):

« عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء
وفي الأسفل لم يكن هناك أرض
لم يكن سوى أيسو أبوهم
وميمو ونعامة التي حملت بهم جميعاً
يمزجون أمواهم معاً »[1].

فقد أنجبت هذه الأم في داخلها (أيسو) وتزوجته وعنه نتج (ميمو) والاثنان كانا من طبيعتها ثم تكاثر الآلهة في داخلها وأزعجوا (أيسو) الذي دخل معهم في معركة خسرها وأسر أبنه (ميمو) فتدخل « تيامت « المعركة ضد أبنائها وعلى رأسهم إله

(١) لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، فراس السواح، التكوين للطباعة، ٢٠١٧م، ص١٥٩.

الشمس (مردوخ) فتخسر المعركة ويقتلها (مردوخ)ثم يشطر جسدها فيصنع منه السماء والأرض ثم يتابع بعد ذلك بقية أعمال الخلق[1].

إلا أننا نلمس التأثير السومري في الأسطورة البابلية من أن المادة التي تشكل منها الكون كانت سابقة وموجودة، وأن انفصالاً ما قد حدث لدى السومريين وهو من صنع البحر الأول الذي يشبه (تعامة) لدى البابليين فهي عندهم الآلهة عينها.

وحصل الانفصال أو الانشطار في الأسطورة البابلية بسبب انشطار المادة الأولى وهي على هيئة إله وانشطارها على يد أبنائها الآلهة الذين ولدتهم.

لقد انقسم المجتمع السومري الإلهي إلى صنفين من الآلهة: آلهة عاملة أو شغيلة، وآلهة متفرغة للخلق وإدارة شؤون الكون.

أما التكوين البابلي فأوضح أن الآلهة خلقت البشر ليحملوا هم أعباء العمل ولتتفرغ الآلهة لإدارة شؤون الكون والبشر، وأكبر الآلهة هو (مردوخ) الذي يمثله على الأرض ملك بابل.

وتصور الأسطورة البابلية أن وجود البشر مسألة خاصة بالأم وحدها، ولم يكن للذكر دور يمكن ملاحظته في عملية الحمل والوضع، فتصور أن دم الحيض سر الميلاد أو منه يتكون الجنين لدى المرأة دون معين، ولكن دخول الثقافة الذكرية أدخل دوراً واضحاً للذكر في التكوين الإنساني مع رغبة ملحة في إلغاء دور الأنثى وحتى يتم الخلق من الدم باعتباره المادة المعروفة لتكوين الجنين، فلذا قد عمدوا إلى الدم كمادة لتكوين الإنسان الذي إذا جرح سال منه هذا الدم الذي خلق منه حتى إذا نفذ دمه مات، لكنهم استبعدوا دم الأنثى واستبدلوه بدم ذكري، وبما أن الذكر لا يحيض فليذبح، ومن هنا

(١) العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، دار الحرية، ١٩٧٢م، ص١٨٨.

سجلت النصوص:

قتل كنجو قطعت شراايينه

سال الدم

ومن الدم خلق الإنسان

وقد تضمنت تلك الفلسفة تفسير لظاهرة الموت، فالإنسان يموت لأنه تكون من دم إله ميت (بعد مزجه بالطين)

وبسبب لحم الإله

تود أن يسكن شبح الموت

جسم الإنسان[1].

أما النص التوراتي فيشير إلى أن الله سبحانه وتعالى هو من خلق السماوات والأرض دون مساعدة من أحد ودون أن يكلف أحد بهذه المهمة عكس قصة الخلق في البابلية التي قامت بها (تيامات أو تعامة)، لكن في التوراة الله من خلق وحده فهو موجود منذ وجود « المادة «.

« كانت الأرض خربة خالية على وجه الغمر».

فهما موجودان (المادة ، الله) وجود مترافق فلا أولوية لأحدهما على الآخر إلا في العملية اللاحقة وهي عملية الخلق، فيقوم به لوحده بإرادته فلا إشكالية ولا أسبقية للمادة على الروح ولا للروح على المادة فهما موجودان في سفر التكوين، أو سفر الخلق، كما في الأسطورة البابلية.

إلا أن وجود المادة إلى جانب الله في التوراة وهي مؤلفة من خليط من عنصر الظلمة

(١) ينظر: قصة الخلق، سيد محمود القمني، ص٨٠.

والمياه، وعند البابليين كانت المادة الأولى « تيامات»[١].

وتتفق قصة الخلق في التوراة مع الأسطورة البابلية في أن خلق الإنسان هو آخر عمل في سلسلة الخلق التي قام بها الإله، وكذلك الاتفاق على الأهمية البالغة لهذا العمل فنلاحظ التأثير والتأثير بين تلك المعتقدات[٢].

الخاتمة

بعد سبر أغوار قصة الخليقة في الأساطير السومرية والبابلية والتوراة توصلنا إلى أن:-

١. الأسطورة هي الوعاء الذي وجد فيه الإنسان البدائي الأول ملاذه لتفسير ظواهر الكون المحيطة به.

٢. أغلب الظن أن أبطال الأساطير من الآلهة ما هم إلا بشر عاديين لكن الناس مجدوهم ليجعلوهم في مطاف الآلهة.

٣. قسم بعض النقاد الأسطورة على الأسطورة الطقوسية، وأسطورة التكوين، والأسطورة الرمزية، والأسطورة التعليلة، وأسطورة البطل الإله.

٤. لم تشر الأسطورة السومرية إلى فكرة الخلق من العدم، إنما هو عملية استخلاص النظام من حالة فوضى أصلية.

٥. لقد اكتملت الأسطورة السومرية في أصل الكون وتنظيمه وخلقه.

---

(١) ينظر: الزمن في الفكر الديني والفلسفي، د. حسام الدين الآلوسي، عالم الفكر، مجلد ٨، عدد ٢، ١٩٧٧، ص٤٢٤.

(٢) ينظر: الملاحم العربية في ضوء الأساطير والملاحم السومرية والسامية، عادل البياتي، بغداد، ١٩٧٦، ص٧٨.

٦. دار الأسطورة السومرية حول (نمو) عبر عنه برمز (البحر)، وقد وصفت بأنها الأم التي ولدت السماء والأرض، ونلحظ في أساطير أخرى أن السماء والأرض كانتا في الأصل جبلاً قاعدته الأرض وقمته السماء.

٧. يعتقد السومرية أن أصل الوجود هو ماء، وقد يكون ذلك انعكاساً لذكرى كامنة في لا شعور الإنسان حول حالة الجنين في ماء الرحم للأم سابحاً في بحره الأول.

٨. كان الغرض من خلق الإنسان في الأسطورة السومرية هو لخدمة الآلهة، وكذلك كان الغرض عينه في الأسطورة البابلية.

٩. قرر (انكي) مصير المخلوقات الست الشاذة التي خلقتها (ننماخ)، وهي في سكرها، ومنها المرأة العاقر، والرجل الخصي.

١٠. تذكر أسطورة الخلق البابلي أيضاً أصل الخلق من الماء، فلم يكن هناك سوى (آيسو) محيط الماء الحلو، و(تيامت) محيط الماء المالح، ومن اتحادهما ظهر للوجود الإلهان الأولان (لخمو) و(لخامو) ثم تولى ولادة الآلهة فيما بعد.

١١. ظهرت بوادر المعارك والخصوم بين الآلهة القدامى وبين أولئك الذين ولدوا حديثاً، ثم يقتل مردوك تيامت، ويقسم جسدها قسمين ليخلق منه السماء والأرض، ثم يأخذ مردوك ألواح القدر من (كنكو) ليتحكم بمصير الكل.

١٢. يخلقمردوخ الإنسان من دم (كنكو) ليجعله في خدمة الآلهة، أما في الأسطورة السومرية فقد خلق الإنسان من لجة الطين، أما في البابلية فخلقه من الطين الممزوج بالدم، وربما يشير الدم أي انتقال فكرة الولادة للرجل أيضاً بعد ما كانت محصورة بالأنثى؛ لأن الرجل لا يخضب فكان دم كنكو هو البديل لذلك.

١٣. تبين قصة الخليقة التوراتية أن الله سبحانه وتعالى هو من خلق الكون دون مساعدة أحد.

١٤. لم يتطرق سفر التكوين إلى عدد السماوات التي خلقت أولاً ويصف الأرض بأنها خاوية أي خالية من كل أثر، استمرت عملية الخلق ستة أيام، بعد أن أعد الله أرض ثم خلق في اليومين الخامس والسادس الكائنات الحية، واستراح في اليوم السابع.

١٥. والغرض من الخلق في القصص الثلاثة هو للخدمة، ففي النص السومري والبابلي كان لخدمة الآلهة. أما في النص التوراتي فالغاية من الخلق هو لإعمار الأرض وإصلاحها.

١٦. نلحظ على كاتب قصة الخليقة العبرية بعض الهفوات، فالنور والظلمة كان لابد أن يندمج ضمن خلق الشمس والقمر للتعبير عن النور والظلام، إلا أنه ذكر خلق النور والظلام في اليوم الأول، ثم الشمس والقمر في اليوم الرابع.

ونلحظ ذلك أيضاً في القصة السومرية، حيث خلق القمر أولاً (نانا) في العالم السفلي، ثم تمكن من الرجوع إلى الأعلى ليضيء (نانا) و(اتو) ظلام السماء والنجوم والأجرام.

أما المصدر الرئيس للنور في الأسطورة البابلية فيتمثل في وضع مردوك لنفسه في كوكب ضخم وجعله المصدر الرئيس للنور في صفحة السماء.

المصادر والمراجع

١. الكتاب المقدس.

٢. أساطير العالم القديم، نشر وتقديم: صموئيل نوح كريمر، ترجمة: أحمد عبدالحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣. الأسطورة والنموذج البدائي، وليم ويميزات، ترجمة: محي الدين صبحي، مجلة الأقلام، بغداد، العدد الثامن، آيار ١٩٧٦م.

٤. الأساطير، أحمد كمال زكي، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٥. موسوعة الأدب والفنون الشعبية، عبدالحميد يونس وفوزي العنتيل، مجلة الهلال

المصرية، يوليو ١٩٦٨م.
٦. البطل في الأدب والأساطير، شكري عباد، دار المعرفة، القاهرة، فبراير ١٩٥٩م.
٧. أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
٨. ما قبل الفلسفة، جماعة من النقاد، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا.
٩. قصة الخلق أو منابع سفر التكوين، سيد محمود القمي، القاهرة، المركز المصري لبحوث الحضارة، ١٩٩٩م.
١٠. الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم- دراسة في الأساطير-، د. أسامة عدنان يحيى، آشوربانيبال، بغداد، ١٩٨٥م.
١١. ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور، نقله إلى العربية: قاسم الشواف، قدم له وأشرف عليه: أدونيس، دار الساقي.
١٢. الأساطير في بلاد ما بين النهرين، صموئيل هنري، ترجمة: يوسف داود عبدالقادر، ١٩٦٨م.
١٣. أشهر الأساطير في التاريخ، مجدي كامل، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة.
١٤. تفسير سفر التكوين، أنطونيو فكري، مكتبة العذراء، القاهرة.
١٥. سفر التكوين أو تاريخ الكون والإنسان، الخوري بولس الفغالي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٨٨م.
١٦. اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، عصام الدين حنفي ناصف، دار المروج للطباعة، بيروت- لبنان، ١٩٨٥م.
١٧. الكتاب المقدس والعلم الحديث، د. فوزي الياس، دار الثقافة، مصر، مطبعة دار نوبار، د. ت.
١٨. شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، د. منيس عبدالنور.

١٩. المرشد إلى الكتاب المقدس، قدم له الأب جان كابور، نشره باللغة العربية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢٠. الأساطير السومرية، كريم صموئيل، ترجمة يوسف داود عبدالقادر، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧١م.

٢١. لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، فراس السواح، التكوين للطباعة، ٢٠١٧م.

٢٢. العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، دار الحرية، ١٩٧٢م.

٢٣. الزمن في الفكر الديني والفلسفي، د. حسام الدين الآلوسي، عالم الفكر، ١٩٧٧م.

٢٤. الملاحم العربية في ضوء الأساطير والملاحم السومرية والسامية، عادل البياتي، بغداد، ١٩٧٦م.